ساعة وساعة

٦

هي خير لك من أكلي

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق.

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

يُقَاضِيْ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ!!

أَدَارَ (فَـادِي) مِفْتَـاحَ التِّلْفَـازِ ، فَسَمِـعَ المُذِيْعَ يَقُوْلُ:

وَالآنَ سَنُقَدِّمُ لَكُمْ حِكَايَةً مِنَ حِكَايَاتِ تُرَاثِنَا الإِسْلامِيِّ؛ حَيْثُ قَاضِى رَجُلٌ عَادِيٌّ خَلِيْفَةَ المُسْلِمِيْنَ (المَأْمُونَ)!!

تَقُوْلُ الحِكَايَةُ: دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى المَأْمُوْنِ وَفِـي يَـدِهِ رُقْعَـةٌ فِيْهَـا مَظْلَمـةٌ مِـنْ أَمِيْـرِ المُؤْمِنِيْنَ.

فَقَالَ المَأْمُوْنُ: أَمَظْلَمَةٌ مِنِّي؟

قَالَ الرَّجُلُ: أَفَأُخَاطِبُ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ سِوَاكَ؟

فَقَالَ المَأْمُونُ: وَمَا هِيَ ظُلامَتُكَ يَا هَذَا؟!

قَالَ الرَّجُلُ: إِنَّ (سَعِيْداً) وَكِيْلُكَ اشْتَرى مِنِّي جَوَاهِرَ بِثَلاثِيْنَ أَلْفَ دِيْنَارٍ.

فَقَالَ المَأْمُونُ: فَإِذَا اشْتَرى سَعِيْد مِنْكَ الجَوَاهِرِ ، فَلِماذا تشكو الظُّلامَةَ مِنِّي أَنَا؟!

قَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ أَشْكُوهَا مِنْكَ! وَذَلكَ إِذَا كَانَتِ الوَكَالَةُ قَدْ صَحَّتْ مِنْكَ.

فَقَالَ المَأْمُونُ: لَعَلَّ سَعِيْدَاً قَدِ اشْتَرى مِنْكَ الجَوَاهِرَ ، وَحَمَلَ إِلَيْكَ المَالَ ، أَوِ اشْتَرَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَعَلَيْهِ فَلا يَلْزَمُنِي لَكَ حَقٌّ ، وَلاَ أَعْرِفُ لَكَ ظُلامَةً!

قَالَ الرَّجُل: إِنَّ وَصِيَّةِ عُمَرَ بْنُ الخَطّاب ـ رضِي الله عَنْه ـ لِقُضَاتِكُمْ قَوْلَهُ: البَيِّنَةُ عَلَى مَنِ ادَّعى ، وَاليَمِيْنُ عَلَى مَنْ أَنْكَر .

فَقَالَ المَأْمُوْنُ: إِنَّك عَدِمْتَ البَيِّنَةَ، فَمَا يَجِبُ لَكَ إلا حَلْفَةٌ وَإِنْ حَلَفْتُها لأَنَا صَادِقٌ؛ إِذْ كُنْتُ لا أَعْرِفُ حَقّاً يَلْزَمُنِيْ.

قَالَ الرَّجُلُ: إِذاً أَدْعُوْكَ إِلى القَاضِي الَّذِيْ نَصَبْتَهُ لِرَعِيَّتِكَ!

فَقَالَ المَأْمُوْنُ: نَعَمْ! يَا غُلام عَلَيَّ بِيَحْيَى ابْنِ أَكْثَمَ.

فَلَمَّا جَاءَ القَاضِي (يَحْيَى) وَوَقفَ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ (المَأْمُوْنِ)، قَالَ لَهُ (المَأْمُوْنُ): اقْضِ بَيْنَنَا!!

فَقَالَ القَاضِي (يحيى): فِي حُكْمٍ وَقَضِيَّةٍ؟

قَالَ (المَأْمُوْنُ): نَعَمْ!

فَقَالَ القَاضِي: إِنَّ ذَلِكَ لا يَكُوْنُ إلا في مَجْلسِ قَضَاءٍ.

قَالَ (المَأْمُونُ): وَلْيَكُنْ مَا يُرِيْدُ!

فَقَالَ القَاضِي: فَإِنِّي أَبْدَأ بِالعَامَّةِ أَوَّلاً لِيَصْلُحَ المَجْلِسُ لِلْقَضاءِ.

قَالَ (المَأْمُونُ): افْعَلْ!

فَفَتح البَابَ ، وَقَعَدَ في نَاحِيَةٍ ، وَأَذِنَ لِلْعَامَّةِ ، ثُمَّ دُعِيَ بِالرَّجُلِ المُتَظَلِّمِ ، فَسَأَلَهُ القَاضِي يَحْيَى: مَا هِيَ ظُلامَتُكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ: لَكِنْ يَا أَيُّهَا القَاضِي! عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُوَ بِخَصْمِي أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ (المَأْمُوْنِ) ، فَنَادَى المُنَادِي: فَلْيَحْضُر جَلْسَةَ القَضَاءِ أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ (المَأْمُوْنُ)!!

وَبَعْدَ قَلِيْلٍ إِذَا بِالْمَأْمُوْنِ قَدْ خَرَجَ؛ وَمعَه غُلاَمٌ يَحْمِلُ مُصَلًّى ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى القَاضِيْ (يَحْيَى) وَهُوَ جَالِسٌ.

فَقَالَ القَاضِي: اجْلِسْ ، فَطَرَحَ (المَأْمُونُ) المُصَلَّى؛ لِيقْعُدَ عَلَيْهَا.

فَقَالَ القَاضِيْ (يَحْيَى): يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ! لا تَأْخُذْ عَلَى خَصْمِكَ شَرَفَ المَجْلِسِ.

فَطَرحَ لَهُ مُصَلَّى ، ثُمَّ نَظَرَ في دَعْوى الرَّجُل ، وَطَالَبَ (المَأْمُوْنَ) بِالْيَمِيْنِ ، فَحَلَفَ ، وَوَثَبَ القاضِيْ (يَحْيَى) بَعْدَ فَرَاغِ (المَأْمُوْنِ) مِنْ يَمِيْنِهِ ، فَقَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ.

فَقَالَ لَهُ المَأْمُوْنُ: مَا أَقَامَكَ؟

قَالَ القَاضِي: إِنِّيْ كُنْتُ في حَقّ الله ـ عزَّ وَجَلَّ ـ حَتَّى أَخَذْتُهُ مِنْكَ ، وَلَيْسَ الآنَ مِنْ حقِّي أَنْ أَتَقَدَّمَ عَلَيْكَ!

ثُمَّ أَمَرَ (المَأْمُوْنُ) أَنْ يُحْضَرَ مَا ادَّعى

الرَّجُلُ مِنَ المَالِ ، وَقَالَ لَهُ: خُذْهُ إِلَيْكَ ، وَاللهِ! مَا كُنْتُ لأَحْلِفَ يَمِيْناً كَاذِبَةً ، ثُمَّ أسمَحَ لَكَ بِالمَالِ ، فَأُفْسِدَ دِيْنِيْ ، وَدُنْيَايَ! وَاللهُ يَعْلَمُ مَا دَفَعْتُ إِلَيْكَ هَذَا المَالَ إِلا خَوْفاً مِنْ هَذِهِ الرَّعِيَّةِ ، لَعَلَّهَا تَرَى أَنِّي تَنَاوَلْتُكَ مِنْ وَجْهِ القُدْرَةِ ، وَإِنَّها لَتَعْلَمُ الآنَ: أَنِّي مَا كُنْتُ لأَسْمَحَ لَكَ بِاليَمِيْنِ ، وَالمَالِ .

فَمَاذَا يَنْفَعُ النَّدَمُ؟!

...وَلَمَّا نَقَلَ (فَادِي) الحِكَايَةَ الَّتِي اسْتَمَعَ إِلَيْها مِنَ التِّلْفَازِ ، لَمَّا نَقَلَها إِلَى أَصْدِقَائِهِ؛ قَالَ (فَارِسٌ): وَأَنَا اسْتَمَعْتُ إِلى حِكَايَةٍ رَائِعَةٍ ، وَلَكِنْ في قَنَاةٍ إِعْلامِيَّةٍ أُخْرَى.

وَطَلَبَ الأَصْدِقَاءُ مِنْ (فَارِسٍ) أَنْ يُلَخِّصَ لَهُمُ الحِكَايَةَ تِلْكَ ، فَقَالَ:

صَـادَ رَجُـلٌ قُبَّـرَةً ـ نَـوْعٌ مِـنْ أَنْـوَاعِ الطُّيُور ـ فَقَالَتْ لَهُ: مَا تُرِيْدُ أَنْ تَصْنَعَ بِيْ؟!

قَالَ الصَّيَّادُ: أَذْبَحُكُ ، وَآكُلُكِ!

فَقَالَتِ القُبَّـرَةُ: وَلَكِنِّي صَغِيْـرَةُ الحَجْمِ ، لا أُشْبِع مِنْ جُوعٍ ، فَمَا رَأْيُكَ أَنْ أُعَلِّمَكَ ثَلاثَ خِصَالٍ ، هِيَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَكْلِيْ!

فَكَّرالصَّيَّادُ قَلِيْلاً ثُمَّ قَالَ: هَاتِ مَا عِنْدَكِ فَقَدْ قَبِلْتُ!

قَالَتِ القُبَّرَةُ: وَلَكِنْ بِشَرْطٍ.

قَالَ الصَّيَّادُ: فَمَا هُوَ؟

قَالَتِ: أَمَّا الخَصْلَةُ الأولَى: فَأُعَلِّمُكَ إِيَّاهَا وَأَنَا في يَدِكَ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فإذا صِرْتُ على الشَّجَرَة. وَأَمَّا الثَّالِثَةُ: فَإِذَا صِرْتُ عَلى الجَبَلِ.

فَقالَ الصَّيَّادُ: هَاتِ الخَصْلَةَ الأُوْلَىٰ!

فَقَالَتْ: لا تَلْهَفَنَّ على مَافَات. فَخلاَّهَا الصَّيَّادُ ، فَلَمَّا صَارَتْ عَلَىٰ الشَّجَرَةِ؛ قَالَ: هَاتِ الثَّانِيَةَ.

فَقَالَتِ: لا تُصَدِّقَنَّ بِمَا لا يَكُوْنُ: أَنَّهُ يَكُوْنُ.

ثُمَّ طَارَتِ القُبَّرةُ ، فلَمَا صَارَتْ عَلى الجَبَلِ؛ التَفَتَتْ إِلَىٰ الصَّيَّادِ المِسْكِيْنِ، وَقَالَتْ: يا شَقِيُّ! لَوْ ذَبَحْتَنِي؛ لأَخْرَجْتَ مِنْ حَوْصَلَتِيْ دُرَّتَيْنِ ، وَزْنُ كلِّ وَاحِدَةٍ ثَلاثُوْنَ مِثْقالاً!!

فَعَضَّ الصَّيَّادُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَتَلَهَّفَ تَلَهُّفاً شَدِيْداً ، ثُمَّ قَالَ: هَاتِ الثَّالِثَةَ.

ضَحِكَتِ القُبَّرةُ ثُمَّ قَالَتْ: قَد نَسِيْتَ الاثْنَتَيْنِ ، فَمَا تَصْنَعُ بِالثَّالِثَةِ؟

أَلَمْ أَقُلْ لكَ: لاَ تَلَهَّفَنَّ عَلى مَا فَاتَ! وَقَدْ تَلَهَّفْتَ.

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لا تُصَدِقَنَّ بِمَا لاَ يَكُونُ: أَنَّهُ يَكُونُ؟ أَنَا وَلَحْمِي ، وَدَمي ، وريْشي لا نُوْزِنُ عِشْـريـنَ مِثْقـالاً ، فَكَيْـفَ صَـدَّقْـتَ أَنَّ فـي حَوْصَلَتِي دُرَّتَيْنِ؛ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا ثَلاثُونَ مِثْقالاً؟! ثُمَّ تَرَكتِ القُبَّرةُ الصَّيَّاد مُنْدَهِشاً مَبْهُوتاً... وَطَارَتْ في الجَوِّ .

فَمَا وَلَدَتِ العَرَبُ أَكْرَمَ مِنْهُ!!

قَالَ (فَتْحِي): وَأَنَا قَرَأْتُ البَارِحَةَ قِصَّةً في إِحْدَىٰ المَجَلاَّتِ. مُلَخَّصُهَا: رَوَىٰ العَلاَّمَةُ الأَصْمَعِيُّ ، فَقَال:

قَصَدْتُ في أَحَدِ الأَيَّامِ رجُلاً كُنْتُ أَتَردَّدُ إِلَيْهِ لِكَرَمِهِ ، فَوَجَدْتُ عَلى بَابِهِ بوَّاباً ،

فَمَنَعني مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ.

وَقَالَ لِيْ: وَاللهِ يَا أَصْمَعِيُّ! مَا أَوْقَفَنِي عَلىٰ بَابِهِ لأَمْنَعَكَ مِنَ الدُّخُوْلِ إِلَيْهِ إلا رِقَّةُ حَالِهِ، وَقُصُورُ يَدَيْهِ.

فَكَتَبَ الأَصْمَعِيُّ رُقْعَةً، جَاءَ فِيْهَا:

إِذَا كَانَ الْكَرِيْمُ لَهُ حجَابٌ

فَمَا فَضْلُ الْكَرِيْمِ عَلَىٰ اللَّئِيْمِ؟!

قَالَ: ثُمَّ أَعْطيْتُ الرُّقعَة لِلْحَاجِبِ. وَقُلتُ لَهُ: أَوْصِلْ هَذِهِ الرُّقْعَةَ إِلىٰ سَيِّدِكَ. فَأَوْصَلَهَا الحَاجِبُ إِلَيْهِ. ثُمَّ عَادَ بِهَا، وَقَدْ كُتِبَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا:

إِذَا كَانَ الْكَرِيْمُ قَلِيْلَ مَالٍ

تَسَتَّر بِالحجَابِ عَلَى الغَرِيْمِ!!

وَأَرْسَلَ مَعَ الرُّقْعَةِ صُرَّةً فِيْهَا خَمْسمِئَة دِيْنارٍ.

فقُلْتُ: وَالله! لأُعْلِمَنَّ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنِ بِهَذا الْخَبَر الَّذي مَا مَرَّ مَعِيْ مِثْلُهُ.

وَذَهَبْتُ إلى أَمِيْرِ المُؤْمِنيْنَ. فَلَمَّا رآني؛ قَالَ لي: مِنْ أيْنَ يَا أَصْمعي؟!

فَقُلْتُ: مِنْ عِنْدِ أَكْرَمِ النَّاسِ حَاشَا أَمِيْرِ المؤْمِنيْنَ.

قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟

قُلْتُ: رَجُلٌ أَكْرَمَ عَليَّ بِعِلْمِهِ ، وَمَالِهِ!

ثُمَّ دَفعْتُ إلى أَمِيْرِ المُؤْمِنيْنَ بِالرُّقْعَةِ المَكْتُوبَةِ ، وبِصُرَّةِ المَالِ ، وَرَوَيْتُ لَهُ مَا حَدَثَ لِي مَعَ الرَّجُلِ.

فَلَمَّا نَظَرَ إلى الصُّرَّةِ غَضِبَ وَارْبَدَّ وَجْهُهُ[1] ، وَقَالَ:

---

(١) ارْبَدَّ وَجْهُهُ: تَغَيَّر لَوْنُه من الغَضَبِ.

هَذَا خَتْمُ بَيْت مَالِي ، ولابُدَّ لي مِنَ الرَّجُلِ الَّذِيْ دَفَعَهَا إِلَيْكَ!

فَذَهَبْتُ إِلىٰ الرَّجُلِ ، وَأَخْبَرْتُهُ بِأَنَّ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ يَأْمُرُهُ أَنْ يَحْضُرَ السَّاعَةَ!

فَقَالَ الرَّجُلُ: سَمْعَاً ، وَطَاعَةً!

وَانْطَلَقَ مَعِي إِلىٰ دَارِ الخِلافَةِ ، فلَمَّا حَضَرْنَا بَيْنَ يَدَيْ أَمِيْرِ المُؤْمِنينَ؛ قَالَ لَهُ: أَمَا أَنْتَ بِالأَمْسِ الَّذي وَقَفْتَ بِمَوْكِبِنَا ، وشَكَوْتَ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ ، وَرِقَّة حَالِكَ؟

فَدَفَعْنَا إِلَيْكَ هَذِهِ الصُّرَّةِ؛ لِتُصْلِحَ بِهَا شَأْنَكَ ، فَقَصَدَكَ الأَصْمَعيُّ بِبَيْتِ شِعْرٍ وَاحِدٍ فَدَفَعْتَ بِهَا إِلَيْهِ؟

فَقَالَ الرَّجُل: وَاللهِ! مَا كَذَبْتُ فِيْمَا شَكَوْتُهُ لِلأَمِيرِ مِنَ الحَاجَةِ ، وَرِقَّة الْحَالِ ، وَلَكِنَّني

اسْتَحْيَيْتُ مِنَ اللهِ أَنْ أُعِيْدَ قَاصِدِيْ إلا كَمَا أَعَادَنِي أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ!!

فَتَهلَّلَ وَجْهُ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ ، وَقَالَ:

للهِ أَنْتَ أيُّها الْكَرِيْمُ! فَمَا وَلَدَتِ الْعَرَبُ أَكْرَمَ مِنْكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِألْفِ دِيْنَارٍ.

فَقُلْتُ: وَأَنَا يَا أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ؟

فَأَمَرَ لِيْ بِخَمْسِمِئَةِ دِيْنَارٍ ، وَجَعَلَ ذَلكَ الرَّجُلَ وَاحِداً مِنْ نُدَمَائِهِ وَالمُقَرَّبِيْنَ إليه!!

عَهْدٌ عَلَىٰ مَا فِيْهِ النَّفْعُ

... قَالَ (فَتْحِي): مَا أَجْمَلَ أَمْثَالِ تِلْكَ اللِّقَاءَاتِ! فَهِيَ الَّتِي تَشْحَذُ فِيْنَا الهِمَمَ بِنَحْوِ الاسْتِمَاعِ إلَى أَفْضَلِ الأُمُوْرِ العِلْمِيَّةِ ، وَتجْعَلُنَا نَبْحَثُ في بُطُوْنِ الكُتُبِ وَالمُجَلَّداتِ عَنِ الحِكَايَاتِ وَالقِصَصِ الهَادِفَةِ

وَالْمُفِيْدَةِ... ، وَلَيْتَ كُلَّ الشَّبَابِ يَقُوْمُوْنَ بِمِثْلِ ذَلِكَ! بَدَلَ اللَّهْوِ.. وَتَضْيِيْعِ الأَوْقَاتِ ، وَلِذَلِكَ تَعَالوا نَتَعَاهَدَ عَلى مُوَاصَلَةِ تِلْكَ اللِّقَاءات المُفِيْدَة ...

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

❊ ❊ ❊